المحاضرة رقم (11) أنثروبولوجيا الجسد

سنحاول في هذه المحاضرة ابراز أهم الافكار التي جاءت في كتاب الجسد والحداثة لمؤلفه عالم الاجتماع الفرنسي ***دافيد لوبروتون (ترجمة محمد عرب صاصيلا، وعرض محمد أمين العالم)*** ، حيث يذهب الى ان الجسد كموضوع انثروبولوجي يمكننا نمن فهم الطقوس وطبيعة الممارسات المرتبطة بالاستخدامات المختلفة لهذا الجسد والاعتناء به والدوافع لتلك الممارسات، خاصة وأن التصورات الثقافية والاجتماعية للجسد تؤثر على الممارسات اليومية للأفراد.

فقد تناول العلاقة والارتباط الوجودي للإنسان وجسده، فوجود الانسان هو وجود جسد، فلولا الجسد الذي يعطيه وجها لن يكون الانسان على ما هو عليه، ومصير حياته يكون اختزالا مستمرا للعالم في جسده، وذلك عبر الزمن الذي يجسده، فوجود الانسان لديه هو وجود جسدي.

ويرى لوبروتون أن الجسد أصبح يمثل ثلاثة انقطاعات هي:

1- انقطاع بين الشخص والاخرين.
2- انقطاع بين الشخص والكون.
3- انقطاع بينه وبين نفسه.

يفسر بروتون هذا الانقطاع بصعود الفردية وبروزها ابتداء من عصر النهضة وسيادة الفكر العقلاني وضعي وعلماني حول الطبيعة، وتراجع تدريجي عن التقاليد الشعبية، فقد أصبح الجسد مجرد مكان أو صفة مكانية تتركز فيه الرفاهية والشهوة والمخاطرة.

كما يفسر لوبروتون هذه القطيعة بين الانسان والجسد في مجال الطب خاصة، فالطب لم يعد يعالج المريض كإنسان (اخ، ولد، ابن، صديق،..) أو مجرد انسان بل أصبح يعالج الآلة البشرية أي الجسد كمجرد جسد، وقد برزت هذه القطيعة مع بروز الفردية كما يقول على خلاف الوضع في القبائل القديمة التي كان الجسد فيها يستعير خصائصه من البيئة التي يعيش فيها سواء كانت بيئة حيوانية أو نباتية، فقد كان الانسان وجسده والبيئة المحيطة يشكلون وحدة واحدة حميمية، وهذا شأن المجتمعات التقليدية السابقة عن المجتمعات الحديثة.

وبين القرنين السابع عشر والثامن عشر ولد انسان الحداثة، وأصبح الجسد مقطوعا عن الكون وعن الاخرين وعن نفسه، بل أصبح مقرونا بالكينونة.

- أي لم يعد جزءا من كينونة الانسان بل أصبح ملكا له.
- وتم بهذا الانشقاق بين الثقافة العالمية والثقافة الشعبية.
- ويعتبر ديكارت من عبر عن هذه الثنائية في تمييزه بين الفكر والمادة.
- أصبح الجسد غريبا عن الانسان ونزعت عنه قدسيته فأصبح حالة مستقلة.

ضد الجسد الانساني:

الطب في ممارساته اليوم اصبح نموذجا لهذه الأداتية الميكانيكية فلم يعد يعالج المريض بل يعالج المرض مستقلا عن المريض، فلكي تتم معالجة المريض بشكل أفضل لا بدمن نزع الصفة الانسانية عن المرحلة، فالطب اذن من هذا المنطلق يعنى بالظواهر.

فالمعارف العقلانية قد سلبت من الجسد كل قيمة ذات طابع اخلاقي او رمزي وجعلته عاريا على غرار النموذج الميكانيكي، حيث أصبح:

1- تخطيط المدن هندسيا لا يتم وفقا للتجربة او المصلحة الانسانية بل يخضع لحركة السيارات وهكذا بقية مظاهر المدينة.
2- الجسد في المدينة أصبح جسدا وظيفيا عقلانيا خاليا من البعد الرمزي كجسد انساني.
3- بروز ظواهر جسدية غريبة: كالضجيج، الروائح، الاعلانات الخاصة بالجسد، اعلانات الرجولة والفحولة والقوة، الرقص، الرياضة، الادوات الصحية للمرأة، وغيرها
4- أصبح الشعار اذا أردتم ان تتغيروا فابدأوا بأجسادكم فتغيير الجسد من تغيير الحياة.
5- النرجسية الحديثة هي ايديولوجية الجسد أي سيادة البدن.

وونشير هنا حسب ما جاء في الكتاب ذاته بوجود رؤيتان للجسد هما:

- الرؤية الحديثة العلمانية ميكانيكية نفعية ثنائية، حيث أصبح فيها الجسد مجرد سلعة للبيع والمتاجرة والاستمتاع،... ويتاجر في أعضائه المفككة مثل الجلد والدم والاجنة والهياكل العظمية، ممارسة الانجاب بالأنابيب،... وغيرها.
- والرؤية الثانية شعبية توحد بين النفس والجسد حيث تمد الجسد وتمنحه قيمته الرمزية والاخلاقية، غير ان الرؤية الاولى هي السائدة.